

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إطلاقات (الفقر) وأنواعه، وهل هو قمة الكمال

أو مجمع الرذائل؟

(٢)

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَالِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال جل اسمه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

وجوه الجمع بين طوائف الروايات المادحة للفقر والذامة له

سبق: (الطائفة الأولى: الروايات التي تمدح الفقر وتعتبره علامة الإيمان.

وهي روايات كثيرة مستفيضة بل متواترة تدعو إلى الإعراض عن الثروة وتذم المال ومتاع الحياة الدنيا وتحرض على التجلبب بجلباب الفقر بل أن يفتخر المؤمن بكونه فقيراً وأن الفقر وسام كوسام الشهادة وانه علامة على حب الله للمؤمن وان الثراء هو عقوبة إلهية معجلة على معصية صادرة من الإنسان).

و: (الطائفة الثانية: الروايات التي تمدح الغنى وطلب المال

وهذه الطائفة تتضمن روايات كثيرة أيضاً:

ومنها: ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سَلُوا اللَّهَ الْعَنَى فِي الدُّنْيَا وَالْعَافِيَةَ، وَفِي الْآخِرَةِ الْمَغْفِرَةَ وَالْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

وهناك وجوه جمع قد تبلغ السبع، بين طوائف الروايات المختلفة، وبعض هذه الوجوه مما عليه شاهد جمع من الروايات أو مناسبات الحكم والموضوع أو غيرها، وبعضها مما قد يُعد من دائرة الجمع التبرعي فلو استقصينا البحث أكثر في مطاوي مختلف الروايات الأخرى ولم نجد عليها شاهداً فلا سبيل للبناء عليها، كما ان بعض وجوه الجمع الآتية تتكفل بمفردها بحل الإعضال بأكمله وتميز دوائر كافة الروايات الواردة عن الفقر والغنى ومواقعها بحيث لا يبقى مجال لأدنى توهم تعارض بين بعضها والبعض الآخر، بينما سنجد ان بعض وجوه الجمع الآتية تتكفل بحل مشكلة تعارض بعض مجاميع الروايات ولا يكتمل الحل والعلاج لتعارض مجمل الروايات إلا بضميمة وجه جمع آخر من سلسلة الوجوه.

الوجه الأول: تعدد إطلاقات الفقر

ان فقه الحديث والتدبر المعمق والدراسة الدقيقة لمفردتي الفقر والغنى الواردتين في العشرات من الروايات التي صنفتها إلى

(١) سورة هود: آية ٦١.

(٢) سورة الشورى: آية ٢٧.

(٣) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، عدد الأجزاء ٨، ج ٥ ص ٧١.

طائفتين تبدوان متعارضتين، يقودنا إلى أن للفقر إطلاقات متعددة وان له معاني مختلفة وانه اريد في بعض الروايات معنى وفي بعضها الآخر معنى آخر وفي بعضها معنى ثالث وفي غيرها معنى رابع، وعليه: فلا تضاد ولا تناقض وإنما نشأ توهم التعارض من وحدة اللفظ، لكن اختلاف المعنى المراد في كل موطن هو مفتاح الحل وهو البلسم الذي ترتفع به الشبهة.

وهذا الاختلاف لمعاني مفردة الفقر قد يدعى ان الوجه فيه هو الاشتراك اللفظي الناشئ لا من تعدد الوضع التعييني بل من الوضع التعيبي المستفاد من تراكم الاستعمال في المعنى الآخر حتى بلغ مرتبة انسبائه منه بدون قرينة لكن مع عدم هجر المعنى الأول وإلا كان من المنقول.

وقد يدعى ان الوجه فيه هو الاشتراك المعنوي وان كافة تلك المعاني هي أصناف للفقر مندرجة تحت جامع واحد هو الموضوع، وان إرادة هذا الصنف هنا وذاك هناك يستفاد من قرائن داخلية كامنة في الروايات أو خارجية في ضمن دوائر أخرى كما سيتضح لاحقاً بإذن الله تعالى.

### إطلاقات الفقر الأربع:

وإطلاقات الفقر حسب الاستقراء الناقص، ولعله تنجلي لنا لاحقاً إطلاقات أخرى، هي أربع:

**الأول:** ان المراد من الفقر الفقر إلى الله تعالى.

**الثاني:** ان المراد منه الفقر من الدين، وهو معنى يضاد الأول تماماً.

**الثالث:** ان المراد منه فقر النفس.

**الرابع:** ان المراد منه: الفقر المادي أو الفقر إلى المادة والماديات.

فلنستعرض مختلف الروايات لكي يتجلى لنا بوضوح انها تتوزع على هذه المحاور الأربع وان مشكلة التعارض بين مختلف الروايات ترتفع بذلك:

### أولاً: الفقر إلى الله تعالى

من معاني الفقر، الفقر إلى الله تعالى وقد دلت على هذا المعنى آية قرآنية كريمة صريحة، كما ان المراد من الكثير من الروايات المادة للفقر هو هذا المعنى بالذات اما بمفرده أو على نحو مانعة الخلو بينه وبين بعض المعاني الأخرى أو على نحو البشروط شبيهة:

فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(١)</sup>.

كما ورد في الدعاء «اللهم أغني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك»<sup>(٢)</sup>.

### الفقر فخري

كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الْفُقْرُ فَخْرِي وَبِهِ أَفْتَخِرُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

ذلك ان فقر الإنسان إلى أي شيء آخر غير الخالق جل اسمه ليس إلا فقراً مجازياً محدوداً، اما افتقاره إلى الله تعالى كأنه فقر ذاتي حقيقي كما هو مطلق عام شامل لكل الجهات؛ فان الإنسان في أصل خلقته ووجود جسده ونفسه وروحه وعقله (وهي حقائق

(١) سورة فاطر: آية ١٥.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء - بيروت، ١٤٠٤ هـ، ج ٦٩ ص ٣٠.

(٣) ابن أبي جمهور الاحسائي، عوالي اللآلئ، دار سيد الشهداء عليه السلام - قم، ١٤٠٥ هـ، ج ١ ص ٣٩.

أربع) محتاج إلى الله تعالى ثم انه محتاج إليه جل اسمه وإلى فيضه في كل آن وزمان ومكان وفي كل وضع وحال فهو الفقير حقاً إلى الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ في حركتكم وسكونكم وقولكم وفعلكم وفي تعلمكم وتعليمكم وفي تجارتكم وصناعتكم وفي كل حقل وتُعد وفعل ودور.

ولو ان الإنسان سعى ليستشعر فقره المطلق إلى الله تعالى وأحس به عند كل حركة وسكون وقبض وبسط وشدة ورخاء وفقر وغناء فانه سيكون الغني حقاً وإن كان من الناحية الظاهرية في فقر مدقع!

### اللهم أغني بالافتقار إليك

ولذا ورد «اللهم أغني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك» فان الغنى حقاً هو في الافتقار إلى الله والاحساس العميق بالحاجة إليه والافتقار له فان الله هو مصدر كل القوى والثروات والعلوم والمعارف والخيرات والحسنات والبركات فلو رجع المرء إليه بصدق كان قد طرق باب الكريم حقاً فوجهه من دون سدود أو حواجز.

اما المستغني عن الله تعالى على مستوى مشاعره وأحاسيسه وادراكاته فانه هو الفقير حقاً؛ ألا ترى، في مثال عرني، ان من توهم ان مفتاح حل معضلته السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية هي بيد رجل عاجز عن حلها تماماً، فانه إذا طرق بابه فانه الفقير حقاً والمخدوع واقعاً، أما إذا عرف مصدر الأمور ومن بيده حل العقدة مائة بالمائة فطرق بابه مستجمعاً لشرائط الاستجابة فانه الغني حقاً فانه وإن لم تكن معضلته محلولة بالفعل إلا انه حيث سلك طرق المقدمات الموصلة فانه يكون بذلك الغني ويكون قد حل المشكلة حقاً وان فصلت بينه وبينها ثواني أو أياماً فإن وعد الحر دين!

### استمداد الفيض والطاقة أنا فأنا من الله تعالى

ولأن المعقول يتضح للقوى المتخيلة بشكل أكثر جلاء عند تشبيهه بالمحسوس، فيمكننا ان نمثل فقرنا الدائم إلى الله تعالى لحظة بلحظة وثانية بثانية، بالشاحن لأجهزة النقال أو المحمول أو غيرها فان الجهاز يستمد الطاقة من الكهرباء أنا بآن ولو فصلته عنه فانه سينقطع الامداد والاستمرار فوراً ودون إبطاء!

ولو ان الإنسان استشعر فقره إلى الله تعالى عند كل حركة وسكون، لامتنع ان يتجرأ على معصية الله تعالى قط إذ كيف يعصيه بكذبة أو غيبة أو تهمة أو سرقة أو غش واحتلاس ورشوة ونظرة محرمة وغيرها وهو يستشعر انه في هذه الثانية وفي هذه الحالة يستمد وجوده من الله كما يستمد طاقته وقدرته منه جل اسمه؟ وانه لا ملجأ منه إلا إليه وان حساب الخلق إليه وثوابهم وعقابهم عليه؟ وانه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> وانه المحييط بأفعاله وأعماله وأفكاره كما لم يحيط بها شيء قط!

وبذلك يوجه أيضاً قوله ﷺ «الْفَقْرُ فَخْرِي وَبِهِ أَفْتَخِرُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ» فانه الفقر إلى الله تعالى وهو فخره الأعظم على سائر الأنبياء، من غير ان ينفي ذلك ان المراد أيضاً الفقر المادي كما سبق<sup>(٢)</sup> وسيأتي أيضاً ما يوضح المقصود أكثر عند الحديث

(١) سورة ق: آية ١٨ .

(٢) في قولنا (فليكن المراد إذا: اني افتخر بهذا الفقر الذي هو في سبيل الله! ولو شاء ﷺ لوضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره على أن يترك هذا الأمر لكنه لم يتركه أبداً.. بل لو شاء لاكتفى بالتجارة في أموال خديجة أو غيرها وصار من أثرى الناس لكنه ﷺ رجح الفقر في ذات الله على الغنى الذي لا قيمة له.

عن وجه الجمع الثاني فانتظر.

### ثانياً: الفقر من الدين

ومن معاني الفقر وإطلاقاته: الفقر من الدين، وبذلك تفسر مجموعة من الروايات:

### الفقر سواد الوجه في الدارين

«الْفَقْرُ سَوَادُ الْوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ»<sup>(١)</sup> لوضوح ان الفقر المادي إن كان سواداً للوجه فهو سواد للوجه في الدنيا لا في الآخرة؛ إذ ما أعظم مقام الفقراء إذا صبروا!<sup>(٢)</sup> فالمنصرف إن لم يكن الظاهر من الرواية هو ان المراد الفقر من الدين.

### الفقر الموت الأحمر

وبعض الروايات الأخرى صريحة في الدلالة على هذا المعنى من معاني الفقر فقد ورد في الكافي «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَلْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ، فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلْفَقْرُ مِنَ الدَّيْنِ وَالذَّرْهَمِ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ مِنَ الدَّيْنِ»<sup>(٣)</sup>. ولعل وجه التعبير بالموت الأحمر هو ان الموت الأحمر أشد رهبةً وأقوى في إثارة الرعب والخوف في النفوس، فان الموت إذا كان حتف انفه كان هادئاً ولربما كان مرعباً إلا أن الموت لو كان بالذبح أو بالسيف أو شبه ذلك مما تتطاير فيه الدماء ويتلطح فيه بدن المقتول وثيابه بالدم الأحمر فانه يكون أكثر تخويفاً وارعاباً، فالفقر هو الموت الأحمر. ولعل المقصود من الفقر ههنا الدرجة العليا منه وهي التي قيل انه سمي بالفقر لأنه يكسر فقار الظهر فان شدة الفقر قد تبعث على ذلك بل على الاسوأ منه.

كما ورد في الرواية «وَالْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ...»<sup>(٤)</sup> ولعل وجه تسميته بالأكبر ان الموت يحدث مرة واحدة وينتهي اما الفقر من الدين<sup>(٥)</sup> فانه قد يستمر لعشرات السنين ثم ومن وراء ذلك يُحَلِّدُ الإنسان لا سمح الله في عذاب جهنم فهو الموت الأكبر لا الموت الذي قد يكون بوابة الدخول إلى ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

### قصة تخيير الأمير عليّ بن أبي طالب للمال!

وفي القصة التالية أكبر العبرة: فقد نُقل ما يقارب هذا المضمون وهو: ان أحد الصالحين، ولعله كان بالنجف الأشرف، كان يعاني من الفقر فترة من الزمن ثم اشتد به الفقر وضاعت به الأحوال حتى التجأ إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عند ضريحه المقدس وطلب بإلحاح أن يفتح عليه صلوات الله عليه أبواب الرزق، ولعله خاطبه بما يقرب من ان الكرم يبذل ويعطي ويمنح وإن خسر بذلك بعض ثروته بل جميعها وانت يا سيدي سيد الكرماء ولا تخسر شيئاً أبداً بالتوسط لدى الله لتفريج كربتي وتغيير حالتي من فقر مدقع

وفوق ذلك فان الفقر زين للقائد «لِيَلَّا يَتَبَيَّعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرَهُ» كما قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فان من مفاخر القائد أن يعيش كأضعف الناس لا أن يترفع عليهم.

فليكن لذلك كله ولغيره، قوله ﷺ: «الْفَقْرُ فَخْرِي وَ بِهِ أُنْفَخُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ» (دروس في التفسير والتدبر: ٢٥٥).

(١) ابن أبي جمهور الاحسائي، عوالي اللآلي، دار سيد الشهداء عليّ بن أبي طالب - قم، ١٤٠٥ هـ، ج ١ ص ٤٠.

(٢) وسيأتي وجه آخر للمراد من هذا الحديث بإذن الله تعالى.

(٣) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، عدد الأجزاء ٨، ج ٢ ص ٢٦٦.

(٤) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليّ بن أبي طالب - قم، ١٤٠٩ هـ، ج ١٢ ص ٣٩.

(٥) وكذلك الفقر المادي إذا بلغ مرحلة الفقر المدقع الذي يكسر فقار الظهر.

(٦) سورة آل عمران: آية ١٣٣.

إلى غنى ممتع.. فهلاً تطولت يا سيدي وتفضلت؟

والظاهر انه حدثت لديه لحظة انقطاع.. بعد ذلك وفي الليل رأى في المنام أمير المؤمنين عليه السلام وكأنه في ساحة دار في نهايتها دهليز شبه مظلم، فقال له الأمير عليه السلام اذهب واحمل مما تجد بعضه، فذهب إلى الدهليز فوجد فيه عقارب وحيات ميتة!! ومن الطبيعي ان يكون المنظر مقززاً مرعباً، فانه تجسيد لأموال الدنيا وحطامها، إلا انه حيث كان الأمير عليه السلام قد أمره لذلك حمل بعضها على خوف ووجل، وكان في ساحة الدار حوض فقال له الأمير ضعتها فيها، فلما وضع الحيات والعقارب في ماء الحوض انقلبت إلى ذهب ابريز خاص!

ولقد دهش الرجل لذلك ورآها ثروة طائلة هبطت عليه ببركة الأمير عليه السلام، إلا انه صلوات الله عليه فاجأه بموقف صعب جداً فقال له: انت مخير: فإما ولايتي ومحبي واما هذه الأموال! فان اخذتها صرت ثرياً لكنك ستفقد الولاية! وان تمسكت بجبل ولايتي فارمها وستبقى فقيراً!..

ولقد كان الموقف صعباً حقاً على من ذاق مرارة الفقر الشديد، إلا ان حكمته وإيمانه كانا فوق ان يفرط بخير الدنيا والآخرة مقابل عرض زائل فقال: كلا يا أمير المؤمنين لا أفضل على ولايتك شيئاً.. ورمى الذهب.. وهنا استيقظ من المنام لكنه كان مطمئناً إلى ما قسمه الله له من الفقر فاحسّ ببرد اليقين واكتسى ببرد السكينة والطمأنينة.

ومن الواضح ان الأحلام لا حجية فيها، إنما الكلام هو انها لو طابقت المستفاد من الآيات أو الروايات أو المستقلات العقلية أو شبه ذلك كانت الحجة هي الآيات والروايات والعقل وأما الأحلام فهي منبّهة فقط.

ومن الواضح ان بعض الناس يُطغيه الثراء ويسلبه إيمانه فالأصلح له الفقر وقد وردت بذلك روايات عديدة ومنها: «وأن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر فلو أغنيته لأفسده ذلك»<sup>(١)</sup> ويبدو ان هذا الرجل الفقير كان منهم فكان فقره المادي هو الضمانة كي لا يسقط في هاوية الفقر من الدين، وكان غناه هو السبب في الهلاك بالفقر من الدين وقد صرح له الأمير عليه السلام بالمعادلة التي تتحكم في مصيره بأكمله وكان الرجل من الحكمة والذكاء والإيمان والولاء بحيث رجح الآخرة على الدنيا والولاية على عرضها الزائل الفاني، وبدون أدنى تردد!.

### ثالثاً: فقر النفس

ومن معاني الفقر وإطلاقاته: (فقر النفس) وتدل على هذا المعنى مجموعة من الروايات: ومنها: قوله عليه السلام: «خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»<sup>(٢)</sup> فان مضاد الغنى هو الفقر فيفيد الحديث ان (أشرف الفقر هو فقر النفس) وفي الآية الشريفة ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفقر النفس رذيلة من أكبر الرذائل فانه يعني الجشع والحرص والطمع ويعني التحسر الدائم على ما لا يملك وإن كان يملك الملايين! ويعني التذلل للأمرء والأثرياء طمعاً في بعض الفتات أو بعض حطام الدنيا الزائلة.

### مظاهر فقر النفس ودناءتها

(١) ابن أبي جمهور الاحسائي، عوالي اللآلئ، دار سيد الشهداء عليه السلام - قم، ١٤٠٥ هـ، ج ٢ ص ١٠٨.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٣ هـ، ج ٤ ص ٤٠٢.

(٣) سورة النساء: آية ٣٢.

إن الجشع والحرص على جمع الأموال وعلى السلطة والرياسة وعلى الشهرة والمدح، يكشف عن فقر النفس ودناءتها فان الغني النفس مستغن بذاته وهو أكبر من ان تملكه الأهواء أو تأسره الشهوات أو ان يبيع المبادئ والقيم والنزاهة لقاء حفنة من المال وإن بلغت المليارات! كما ان غني النفس أعظم من ان يتنازل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كي يبقى في منصبه أو كي يُسمح له بان يحظى بترقية في السلم الوظيفي أو ان يكون له وسام إلقاء بعض الكلمات في مجالس الكبراء!

ان المؤمن غني بالله تعالى وهو غني النفس حينئذٍ بذلك، وفي الحديث «إِذَا أَرَدْتَ عِزًّا بِلَا عَشِيرَةٍ وَهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ، فَاخْرُجْ مِنْ ذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ»<sup>(١)</sup> فإن العز حقاً والهيبة صدقاً هي في عز طاعة الله فان الأمر كله بيده وهو الذي لا يقال لغيره: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما المعصية فهي الذل حقاً إذ يكون المرء بالمعصية قد باع أشرف وأعز وأغلى شيء لديه وهو شرف نفسه مقابل كذبة أو غيبة أو نغمة أو نظرة محرمة أو رشوة أو شبه ذلك، وأليست نفسه ذليلة فقيرة هيئة عليه عندئذٍ؟ وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ»<sup>(٣)</sup> وما ارحصها لديه لو عصى به بارئته؟.

وإذا كان المرء غني النفس فانه سوف لا يتتبع عشرات الآخرين، كما انه إذا كان فقير النفس وجدته فضولياً بأشد أنحاء الفضولية تجاه ما يملكه الآخرون من أموال وبنين أو مكانة ومنزلة أو سلطة وسطوة وشهرة، دائم التفكير فيما يملك هذا أو ذاك، دائم الحرص على أن يحصل على مثل ما حصلوا عليه وأكثر، وإذا حُرِمَ غضب ونقم وأسف وحزن وتحطمت أعصابه!

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ فِي الْمَقْدَرَةِ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فِي الْمَقْدَرَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْنَعُ لَكَ بِمَا قَسِمَ لَكَ وَأُخْرَى أَنْ تَسْتَوْجِبَ الزِّيَادَةَ مِنْ رَبِّكَ...»<sup>(٤)</sup> وذلك من علامات المؤمن انه غني النفس، كما انه يعدّ من علك المحافظة على غناها في امتداد الزمن!

### يشترى سيارات فيراري بلا حدود!

ومن القصص الطريفة - الغريبة التي تكشف عن بعض أنواع فقر النفس، ما واجهته شخصياً قبل سنين: فقد كنت في جولة تبليغية في بعض البلاد الغربية فطلبت رابطة الشباب هنالك اللقاء بي فاجتمعت معهم في إحدى الحسينيات المباركة وافتتحت الحديث، بعد البسملة والحمدلة، بالسؤال التالي موجهاً للطلاب للشباب:

افترضوا انكم ربحتم في اليانصيب مليون بوند دفعة واحدة فماذا كنتم تفعلون بها (وشرحت لهم ان اليانصيب قمار وهو حرام وان هنالك تخريجات فقهية لبعض أنواعه).

ثم سألتهم واحداً واحداً، فأجاب الأول وقال: سوف ابني به مسجداً، وقال الثاني: سأعطيه لوالدي ليوفي به ديونه المتراكمة عليه، وقال الثالث سأرسله إلى فقراء العراق، وقال الرابع سأأخذ رأسماً للتجارة، ... وهكذا.. لكن الغريب ان أحدهم قال

(١) المحدث النوري، مستدرک الوسائل، مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم، ١٤٠٨ هـ، ج ١١ ص ٢٥٨.

(٢) سورة آل عمران: آية ٢٦.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نصح البلاغة، دار الهجرة للنشر - قم، ص ٤٦٩.

(٤) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، عدد الأجزاء ٨، ج ٨ ص ٢٤٤.

سأشتري به سيارة فيراري! فقلت وكم قيمتها فقال: افخر أنواعها قيمته ثلاثمائة ألف بوند<sup>(١)</sup>.

قلت حسناً للمبلغ فائض وهو ٧٠٠ ألف فماذا تصنع به؟ قال: سأشتري سيارة فيراري أخرى! فضحك الشاب! فقلت: حسناً ولا يزال عندنا فائض فماذا تفعل؟ قال: سوف اشتري سيارة فيراري ثالثة! فقلت: هب انك ربحت عشرة ملايين أخرى! فقال: اشتري بها سيارات فيراري إلى ما شاء الله! ولقد ضحك الشاب عليه كثيراً.. لكنني فكرت مع نفسي انه يعاني من فقر في النفس تجاه هذه السيارة أو فسمها عقدة نفسية..! ثم فكرت اننا نحن، في الكثير من الأحيان، نسخة أخرى من هذا الشاب؛ وإن كان بنحو آخر! أوليس اننا نمتلك الشهرة ثم نريد منها المزيد ثم المزيد! أو السلطة ثم نطمع في المزيد والمزيد؟ أو نمتلك المال ثم نجمع المزيد والمزيد! أو نمتلك داراً هنا ثم نشترى أخرى في المصيف وثالثة في البلد الآخر وهكذا! ان ذلك كله مما يكشف عن فقر النفس أو عن العُقد النفسية!

### رابعاً: الفقر المادي

ومن معاني الفقر وإطلاقته الفقر المادي والفقر من المال ومن سائر مقومات الحياة المادية، وهذا هو المعنى المعهود من الفقر، وقد وردت به روايات كثيرة أيضاً:

ومنها: «مَنْ أَكْرَمَ فَقِيْرًا مُسْلِمًا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ»<sup>(٢)</sup> وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «مَنْ لَقِيَ فَقِيْرًا مُسْلِمًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ خِلَافَ سَلَامِهِ عَلَى الْغَنِيِّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»<sup>(٣)</sup> والغريب في الحديث انه يكشف لنا عن ان اللازم علينا ان نتعامل مع الفقير كما نتعامل مع الغني تماماً فلا نسلم عليه ببرود وعلى الغني بحفاوة! بل ان نسلم عليه كما نسلم على الأغنياء بدون أي لون من ألوان الاقتصاد في الحفاوة والاحتضان والترحيب والإكرام والإجلال!. وهذا النوع من الفقر هو مشكلة العالم اليوم وقد ورد في إحصاء منظمة الأمم المتحدة للزراعة والتغذية ان طفلاً واحداً يموت كل عشر ثوان في العالم! وذلك رهيب حقاً فان احدنا لو تمرّض ابنه وبدأ يبكي فانه لا يكاد يتحمل ذلك، فكيف إذا رأى ابنه أمامه يتضور جوعاً ويزداد ساعة بعد ساعة إلى ان ينهار من الجوع ويموت! ومن الواضح ان هذا النوع من الموت هو نوع بطيء تدريجي ومؤلم جداً وقد يستمر أياماً، وعليك ان تتصور حال الأبوين وهما يشاهدان ولدهما في هذه الحالة المؤلمة بل المرعبة وهما لا يستطيعان ان يفعلوا شيئاً؟

فهذا هو الفقر الذي وردت في ذمه العديد من الروايات وان على الإنسان ان يستعيد بالله منه:

ومنها: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية: «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ»<sup>(٤)</sup> نعم يمكن تفسير الحديث بفقر النفس والفقر من الدين أيضاً لكن لعل الأظهر هو الفقر المادي (أي النوع الشديد منه على انه لا مانعة جمع بين المعاني).

لماذا على من أحب أهل البيت عليهم السلام ان يستعد للفقر؟

(١) يعادل ٥٠٠ مليون دينار عراقي!

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٣ هـ، ج ٤ ص ١٣.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، المكتبة الإسلامية - قم، ١٤٠٤ هـ، ص ٤٤٢.

(٤) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، دار الهجرة للنشر - قم، ٥٣١.

ومنها: ما ورد في الحديث «مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِلْفَقْرِ جَلْبَاباً»<sup>(١)</sup>.

والظاهر من الحديث - بدأً - ان المراد هو الفقر المادي، والسبب في ذلك واضح وهو ان أتباع أهل البيت عليهم السلام كانوا على مر التاريخ مضطهدين محاصرين مطاردين وكانت السلطات تقصيههم عن المناصب وتحرمهم من العطاء بل كانت السلطات تضيق عليهم مصادر رزقهم بل كثيراً ما كانت تصادر أموالهم وأراضيهم وممتلكاتهم، وكانت في أفضل الفروض لا تمنحهم التسهيلات التي تمنحهم لغيرها في التجارة والاستيراد والتصدير أو في الزراعة والصناعة وغير ذلك.

ولقد كانت هذه هي السمة الغالبة لوضع الشيعة على مر التاريخ..

### اضطهاد الشيعة اقتصادياً في السعودية والبحرين وغيرهما

وفي العصر الحديث نجد ان الحكومات، كالسعودية والبحرين وبلاد الشمال الافريقي وغيرها، لا تزال تحاصر الشيعة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وحقوقياً بل وتحاربهم في مختلف الحقول، ففي البحرين مثلاً وقبل حوالي عشر سنين، أي قبل الأحداث الأخيرة، وفي عزّ فترة مشاركة نواب الشيعة في مجلس الأمة، وضعت السلطات خطة اقتصادية معقدة لضرب تجار الشيعة بطرق غير مباشرة، فاهارت على إثر ذلك شركات وأفلس تجار أعرف بعضهم شخصياً، بل حاربوهم، حتى على الأدوار والأعمال المحدودة التأثير والقليلة الانتاج فمثلاً أوعزوا إلى مختلف الشركات والمؤسسات المرتبطة بهم أو تلك التي تدور في فلكتهم أو التي تحذر مخالفتهم بعدم إرسال الموظفين أو المتعاقدين إلى مركز التدريب والتأهيل الفلاحي، لوجود شبهات حوله! وقد صرحوا لمن كان من داخل دوائهم بان هؤلاء شيعة وتجب مقاطعتهم ومحاصرتهم اقتصادياً حتى يفتقروا ويحتاجوا إلينا!

وقد اضطر عدد من مدراء ومؤسسي العديد من المراكز لاغلاقها بعد ان كسدت أسواقهم واعرض أكثر الناس، خوفاً من الموالي أو حسداً أو حقداً من العدو، عن المشاركة في هذه المراكز أو التعاقد معها.

وعليه: فان قوله عليه السلام: «مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِلْفَقْرِ جَلْبَاباً» كان يُعَدُّ اعداداً مسبقاً الشيعة لكي يتهيأوا نفسياً لتحمل شتى تبعات استمرارهم على خط الرسالة والولاية وعلى خط النهي عن المنكر والأمر بالمعروف والجهاد ضد الحكومات الجائرة فلا يهولتهم إذا ما رأوا الفقر محققاً بهم فان ذلك ضريبة الإيمان والجهاد.. ولا يتصوروا ان ذلك لهوأنهم على الله أو لنقص في الكفاءات أو لتميز الأعداء عليهم بالكفاءة الأكثر، بل عليهم ان يعلموا ان ذلك بعين الله وانه الثمن الذي يجب ان يدفعه أولياء الله قال تعالى: ﴿وَلَنْبَلُوتَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

نعم، القضية غالبية ولا إطلاق لها إذ كانت توجد فترات تراخي وحرية وسعة لذا كان الشيعة ينطلقون فيها أشد الانطلاق وكانوا يتجاوزون غيرهم ممن حظوا بالاستقرار مئات السنين، بسرعة كبيرة!

وسياًتي ان الرواية تحتل وجهاً آخر لا يتنافى مع هذا الوجه. وللبحث صلة بإذن الله تعالى.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نصح البلاغة، دار الهجرة - قم، ص ٤٨٨.

(٢) سورة البقرة: آية ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧.